

## الباب التاسع والأربعون

في ذكر آنتهم التي يأكلون فيها ويشربون ، وأجناسها  
وصفاتها

قال الله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [ الزخرف : ٧١ ] فالصحاف : جمع صَحْفَة ، قال الكلبي بقصاع من ذهب . وقال الليث : الصحفة : قطعة مُسَلَّنِطَحَة عريضة ، الجمع : صحاف ، قال الأعمش :

والمكايك والصِّحَافُ مِنَ الْفَضِّ . وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ (١)  
وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفراء : الكوب : المستدير الرأس الذي لا أذن له . وأنشد لعدي :

مَتَكْنَأُ تَصْفِقُ أَبْوَابُهُ يَسْعَى عَلَيْهِ الْغَيْدُ بِالْكُوبِ (٢)  
وقال أبو عبيدة : الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق : واحدها كوب ، وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هي الأباريق التي ليست لها آذان ، وقال مقاتل : هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

---

(١) انظر «ديوانه» ص ١٦٧ . المكايك واحدها مكوك : وهي مكيال نصف صاع . الضامرات : الإبل التي تمسك جرتها في فيها .

(٢) البيت لعدي بن زيد ، انظر «اللسان» (كوب) وفيه وفي المطبوع : العبد ، والمثبت من الأصل .

وقال البخاري في « صحيحه »<sup>(١)</sup> الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَّخْلُودُونَ ، بَأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [ الواقعة : ١٧ - ١٨ ] . الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم ، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب . وإبريق إفعال من البريق ، وهو الصفاء الذي يبرق لونه من صفائه ، ثم سمي كل ما كان على شكه إبريقاً ، وإن لم يكن صافياً ، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير ، يرى من ظاهرها ما في باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً ، لبريق لونه ، ومنه قول ابن أحرر :

تعلفت إبريقاً وعلقت عجة ليهلك حياً ذا زهاءً وجامل<sup>(٢)</sup>

وفي « نوادر » اللحياني : امرأة إبريق إذا كانت براقه ، وقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ، قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [ الإنسان : ١٥ - ١٦ ] فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ﴿ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة ، وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد ، كما قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء . والأكواب في الدنيا ، قد تكون من فضة وقد تكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة ، وصفاء القوارير ، قال : وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [ الرحمن : ٥٨ ] ، أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه ، فإن الآية صريحة

(١) أورده البخاري ٣١٧/٦ في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ولفظه الكوب : ما لا أذن له ولا عروة . والأباريق : ذوات الأذان والعرى .

(٢) انظر « لسان العرب » (برق) وفيه لفظه : تعلق إبريقاً ، وأظهر جعبة ، وفي المطبوع : جفنة .

أنها من فضة ، و« من » ها هنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة ، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة ، بل جنسه ومادته الفضة ، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير ، وهو الزجاج ، وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص ، فقدرت الصناعات هذه الآتية على قدر ربيهم ، لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وهذا أبلغ في لذة الشارب ، فلو نقص عن ربه لنقص التذاه ، ولو زاد [ حتى ] يُسَيَّرَ منه حصل له ملالة وسامة من الباقي . هذا قول جماعة من المفسرين .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر [ ربي ] أحدهم ، لا فضل فيه ، ولا عجز عن ربه ، وهو الذُّ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير للذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم ، قدروا الكأس على قدر الربي ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف ، ولا ينقص فتطلب النفس الزيادة كما تقدم ، وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أي قدروا في أنفسهم شيئاً ، فجاءهم الأمر على حسب ما قدوره وأرادوه ، وقول الجمهور : أحسن وأبلغ ، فهو مستلزم لهذا القول . والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق : الكأس : الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمير ، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن ، وإنما عني به الخمر . وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود : فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ، ومنفردين : كالنهر ، والكأس . فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً ، ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس ، والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط ، والمسكن فقط ، والأمران معاً .

وقد أخرجنا في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري : أن

رسول الله ﷺ قال : « جنتان من ذهبٍ أنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضةٍ أنيتهما وما فيها : وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنة عدن »<sup>(١)</sup> وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولَ زُمرَةٍ يدخلون الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةِ البدرِ ، والذين يَلونَهُم على أشدِّ كوكبِ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً ، لا يُبولونَ ولا يتغوطونَ ولا يمتخطونَ ولا يتفلونَ ، أمشاطُهُم الذهبُ ، ورشحُهُم المسكُ ، ومجامرُهُم الألوةُ وأزواجُهُم الحورُ العينُ ، أخلاقُهُم على خلقِ رجلٍ واحدٍ . على صورةِ أبيهم آدم ، عليه السلام ستونَ ذراعاً في السماء »<sup>(٢)</sup> .

وفي « الصحيحين » من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « لا تشربوا في آنية الذهبِ والفضةِ ، ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »<sup>(٣)</sup> . وقال أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : حدثنا شيبان ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا [ الحسنة ] فربما رأى الرجلُ الرؤيا فيسألُ عنه إذا لم يكن يعرفه . فإذا أثنى عليه معروفٌ كان أعجب لرؤياه إليه . فأتته امرأةٌ فقالت : يا رسول الله رأيتُ كأنبي أُنيتُ فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنةَ . فسمعتُ وجبةً انفتحت لها الجنةُ فنظرتُ . فإذا فلانُ ابن فلانٍ ، وفلانُ ابن فلانٍ فسمتُ اثني عشر رجلاً . كان رسول الله ﷺ قد بعثهم سريةً قبل ذلك فجيء بهم ، عليهم ثياب طلس تشخبُ أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح<sup>(٤)</sup> فغمسوا فيه فخرجوا ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر . فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسرٌ ، فأكلوا من بسرهِ ما شاؤا . فما يُقلبونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرية فقال : أصيب

(١) تقدم ص ١٤٠ ت (٢) .

(٢) تقدم ص ١٥٥ ت (٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٢٦) في الأطعمة : باب (٢٩) الأكل في إناء مفضض ، ومسلم (٢٠٦٧)

(٥) في اللباس والزينة ، باب رقم (٢) تحريم استعمال إناء الذهب والفضة .

(٤) في الأصل : البندخ .

فلان وفلان ، حتى عدّ اثني عشر رجلاً . فدعا رسول الله ﷺ المرأة . فقال :  
«قُصِّي رؤياك فقصتها، وجعلتُ تقولُ: جيء بفلان، وفلان كما قال» رواه  
الإمام أحمد في « مسنده » بنحوه، وإسناده على شرط مسلم (١) .

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٥/٣ و ٢٥٧ بنحوه، وأورده ابن كثير في «النهاية» ٤٠٧/٢ في ذكر نهر  
البيدح في الجنة ونسبه لأحمد، وذكره في «مجمع الزوائد» ١٧٥/٧ - ١٧٦ وقال: رواه أحمد  
ورجاله رجال الصحيح، ولم أجده في «مسند» أبي يعلى المطبوع ولعله في «الكبير» ٤١ .